وراقت محاسنها التي لم يخلق مثلها في البلاد ۰ وعجب بسهلها الممتنع ادبا العصر
الذين جابوا الصخر بالواد منها طالما فرح الناظر في بستانها منطرح ۰ ورام ابن
سكرة فتح الابواب لمعارضة قطرها النباتي فوجدها مسكن ۰ وعلم
المتنبي ان هذا خاتم الادبا لا محاله ۰ والمترسل الذي يفصح وينه باعما كل
رساله ۰ واقام لتقديمها على غيرها براهين الاحتجاج ۰ وقيل للملحي عند ما قابل
بحرها الحلو بحره هذا عذب فرات سايغ شرابه وهذا ملح اجاج ۰ ومن ذلك
ما نقلته من خط الصاحب فخر الدين ابن مكانس تغمده الله برحمته ۰ وهو ورد
علينا شخص من اهل القيروان ضرير يسمى عبد الله الزعبي يتعاطى نظم الشعر المقفى
الموزون الخالي من المعاني فتردد الى مجالس متفرقة ثم بلغني انه وشى الى صاحبنا
الشيخ زين الدين ابي بكر العجمي عني كتاب الانشا الشريف باني اهتضمت جانبه
وانتقصته ۰ وغضيت منه بالنسبة الى الادب وانه يستحق بكلام عين
كثيرا فتاذى من ذلك وتاذيت من كذب الناقل فكتبت ليس على الاعمى حرج
بلغني بلغ الله سيدنا ومولانا الشيخ الامام العالم العلامة الاديب الناظم
الناثر المحقق الامه الحجة الكاتب زين الدنيا والدين قرة عين الكرام الكاتبين
اقصى ما ينتهي اليه تنافس المتنافسين وابهج صدورا لاوليا والرسايل ۰
والمجالس ولا زال زينه يحلى بها العاطل ۰ ويبطل بحث جاحد القايل ۰ ويهي
الله بلغه من غيبة ذلك الضرير ما لا اخشى الله فيه بظهر الغيب ۰ ونقل الى المسامع
الكريمة ما لا يحتاج الى الاعتذار عنه لما فيه من الريب ۰ ولكن لا غنا لسيف ذهن
الملوك الكليل من التصقل ۰ ولا بد من نصله اعتذار على سبيل التعلل ۰ وكان
المملوك يترقب سببا للمطارحة فهذا المعتاب الان صار عند محمودا اذ كان
السبب لحسن التوسل الى صناعة الترسل منها فلو اختلف الادبا على امام
لهذه الصناعة مطهر من الارجاس ۰ لقال لهم لسان البلاغة مروا ابا بكر فليصل
بالناس ۰ فكيف يسوغ للمملوك مع ذلك ان يدعي غير هذا ۰ وكيف ولم ولماذا
احسدا على الادب ۰ فما الهجري له من عصر الصبا بحمد الله واعناني ۰ او تفاخرا
بالنظم فما اشغلني عنه ۰ بند بر الممالك بما عناني ۰ نعم وان كان جوهر
الالفاظ مما يحسد عليه فما ازهدني والله في هذا العرض الفاني منها والمسول
من احسانه امران احدهما الجواب فانه يقوم عند المملوك مقام الفرج من هذه
الشدة

الشدة ۰ والاخر رد كل فاسق عن الباب العالي فان ابا بكر اولى من تصلب في
الردة ۰ وبلغ المملوك ان هذا الضرير قصد بعض الاصحاب برمية كهك فاصمى
وتردد اليه مرة اخرى فعبس وتولى ان جاه الاعمى ۰ ومن ذلك ما كتبت به
الى المقر الصاحبي الفخري المشار اليه بعد توجهي من حرمته الى دمشق المحروسة
ومشاهدتي ما قدر الله عليها من الحريق والحصار من قبل الملك الظاهر سنة احدى
وتسعين وسبع مائة وهذه الرسالة سارت بها الركبان ۰ وجا لبديع الاقتباس
في معانيها بيان ۰ وهي يقبل الارض التي من يممها او تيمم بتربها حصل له الفخر
والمجد ۰ فلا برح هيام الوفود الى ابوابها ۰ اكثر من هيمان العرب الى ربا نجد ۰
ولا زالت فحول الشعرا تطلق اعنه لفظها وتركض في ذلك المضمار ۰ وتهيم بواديها
الذي يجب ان ترفع فيه على اعمدة المدايح بيوت الاستعاد ۰ وينهي بعد اشواق
امست الدموع بها في محاجر العين معشر ۰ ولو لم يقرا نسانها بمرسلات الدمع
لقلت في وجهه قتل الانسان ما اكفره ۰ وصول المملوك الى دمشق المحروسه
فياليته قبض قبل ما كنت عليه ذلك الوصول ۰ ودخوله اليها ولقد والله تمنى
خروج الروح عند ذلك الدخول منها ونظر فيه بعد ذلك الى الحدادين وقد
نادتهم النار بلسانها من مكان بعيد ۰ اتوني زبر الحديد ۰ ولقد كان يوم حريقها
يوما عبوسا قمطريرا ۰ ضج المسلمون فيه من الخيفه وقدرا واسلاسلا واغلالا
وسعيرا ۰ يا مولانا لقد لبست دمشق في هذا المأتم السواد ۰ وطبخت قلوب اهلها
وسلقوا من الاسنة بالسنة حداد ۰ ولقد نشفت عيونهم من الحريق واستنشقوا
فلم ينشوا رايحة لغاديه ۰ وكم رؤي في ذلك اليوم وجوه يومئذ خاشعة عامله
ناصبة تصلى نارا حاميه ۰ وكم رجل تلا عند لهيب بيته تبت يدا ابي لهب ۰ وخرج
هاربا وامراته حماله الحطب منها ونظرت بعد ذلك الى القلعه المحروسه
وقد قامت قيامة حربها ۰ حتى قلنا ازفت الازفه ۰ وسترو ا بروجها من البلا
تلك الستاير ۰ وهم يتلون ليس لها من دون الله كاشفه منها وتطاولت الى السور
المشرف وقد نصل في علم الحرب ۰ وحفظ ابوابه المقفلات ۰ فما وقفنا له على
باب الا وجدناه لم يترك خلفه لصاحب المفتاح محيصا لما ابداه من المشكلات ۰
فلا وابيك لو نظرته يوم الحرب وقد تصاعدت فيه انفاس الرجال ۰ لقلت ونفخ في
الصور ذلك يوم الوعيد ۰ والى المحاصرين وقد جاوا راجلا وفارسا ليشهد والقتال

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)